

المحاضرة (٧)

(مصطفى صادق الرافعي)

١٨٨٠-١٩٢٧

ولد مصطفى صادق الرافعي في عام ١٨٨٠ لأسرة ذات أصل لبناني، هاجرت إلى مصر في القرن الماضي، ونبغ منها كثيرون في العلم والأدب والسياسة، منهم أمين الرافعي الصحفي والسياسي المعروف، وعبد الرحمن الرافعي أشهر المؤرخين المعاصرين.

كان أبوه من رجال القضاء الشرعي وعُين أحد أفراد أسرته مُفتياً للديار الإسلامية بعد الشيخ محمد عبده، لذلك نشأ الرافعي في جو ديني، فحفظ القرآن ولقّن تعاليم الإسلام، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية وأتمّ تعليمه فيها، لكنه فيما بعد، لم يستطيع مواصلة تعليمه بسبب إصابته بحمى عنيفة قضت على سمعه وحدثت في صوته ثقلاً، غير أنه أراد أن يعوض نفسه عمّا فاتته من مواصلة الدراسة والحصول على الشهادة، فعكف على الكتب ينهل منها ويثقف نفسه بمختلف العلوم والمعارف، حتى أصبح كاتباً كبيراً وعَلَمًا بارزاً من أعلام النهضة العربية الحديثة في مصر. عمل منذ عام ١٨٩٩ كاتباً في المحاكم الشرعية في المحافظات المصرية وظل في هذه الوظيفة حتى وفاته.

من الشخصيات التي أتصل بها وتركت أثراً فيه، الشاعر العراقي المعروف عبد المحسن الكاظمي الذي كان يقيم في مصر آنذاك، وهو الذي شجعه على نظم الشعر، لأنه اكتشف فيه موهبة في ذلك، كما شجعه على ذلك محمود سامي البارودي، فأخذ يقول الشعر، أي أنه بدأ حياته الأدبية شاعراً، فأصدر الجزء الأول من ديوانه في عام ١٩٠٢، ونشر في العالم التالي الجزء الثاني منه، والجزء الثالث في ١٩١٢، ونشر إلى جانب هذا الديوان ديواناً آخر سمّاه (النظرات) في عام

١٩٠٨. تميزت أشعاره بلغة متينة وموضوعات عربية وإسلامية وأغراض تقليدية من رثاء وغزل.

بعد ذلك انصرف إلى التأليف والبحث، فنشر الجزء الأول من كتابه (تاريخ آداب العرب) في ١٩١١، ونال به جائزة الجامعة المصرية التي **خصصها** لهذا الغرض، ثم نشر الجزء الثاني في العام نفسه وسمّاه (إعجاز القرآن) وخاض معارك أدبية وفكرية مع طائفة من الأدباء والباحثين كانت غيائه فيها الدفاع عن اللغة العربية والدين الإسلامي، وقد تمخضت هذه المعارك عن كُتب منها (تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد) وهو في الأصل ردُّ على طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) و(على السفود) الذي تضمن هجاء مقذعاً للمجددين وفي طليعتهم عباس محمود العقاد.

وفي الوقت ذاته نشر عدّة كتب في النثر الفني مثل (حديث القمر) وهو فصول في الحب والجمال والزواج والطبيعة، و (المساكين) وقد عارض به رواية (البؤساء) لفكتور هيجو، و(رسائل الأحزان) وهو خواطر في العشق والزواج، و(السحاب الأحمر) و(أوراق الورد) وقد صور فيها آراءه في الحب والجمال، وقيل أن أغلب هذه الكتب كتبها نتيجة لحيته غير الموفق للأدبية المعروفة ميّ زيادة التي تعلق بها مُعظم أدباء العصر.

وفي الثلاثينيات دعاه أحمد حسن الزيات للإسهام في تحرير مجلة (الرسالة) فأخذ ينشر فيها مقالاته حتى وفاته، وقد جمعت **فيها بعد وصدرت تحت عنوان** (وحي القلم) وفي ثلاثة أجزاء.

ثقافة الراجعي وفكره:

نشأ الراجعي نشأة عربية إسلامية جعلته يطلع على كل ما يتعلق بعلوم العربية والإسلام، فحفظ القرآن والاحاديث النبوية وأشعار القدامى والمحدثين وخطب العرب

ومحاوراتهم وفنون البلاغة والفقه، وقد جعله ذلك يربط بين اللغة والدين، "فكل من يحاول الاعتداء على اللغة أو الغض من شأنها أو النيل من قدرها، فإنما هو يحارب الإسلام علناً أو إستتاراً"^(١). وفي نطاق هذه الفكرة وإطار هذه الثقافة تكاملت شخصية الرافعي أديباً وكاتباً كبيراً جعل هدفه الأول الدفاع عن العروبة والإسلام، حتى لقب بـ(كاتب الإسلام والعروبة)، كذلك أتاحت ثقافته الواسعة ان يسهم في جوانب ثقافية متنوعة، فنظم الشعر وحرر النثر الفني والمقالة بأنواعها، كما كتب في تاريخ الأدب العربي والنقد الأدبي وعلوم اللغة، وساهم في ميدان الإصلاح الاجتماعي، وحمل وحده لواء المحافظين في العشرينيات، ودافع بقوة وعنف عن مثله العربية الإسلامية، لكنه للأسف، استخدم في بعض كتبه ومقالاته أسلوب الشتيمة والتجريح والإسفاف مبتعداً عن الحوار العلمي والمناقشة الموضوعية، ولاسيما في كتابه (على السفود). قال الرافعي في مقالة من مقالاته موضحاً فلسفته في الأدب "القبلة التي اتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حيّة ويزيد في حياته وسمو غايتها ويُمكّن لفضائلها وخصائصها في الحياة، ولهذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، ثم أنه يُخيل إلي دائماً أنني رسولٌ لغوي بُعثتُ للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه".

(١) مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً: مصطفى الشكعة: ص ٢٠.